بسم الله الرحمن الرحيم

مراعاة فهم السلف الصالح وعملهم

قال الإمام ابن قدامة – رحمه الله - :" قد ثبت (وجوب) اتباع السلف رحمةُ الله عليهم بـ (الكتاب) و(السنة) و(الإجماع)، و(العبرة) دلت عليه "[1].

صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا أعلم الناس بأصول الدين ومقاصد الشريعة، وأعرف الناس بالنصوص الشرعية، كما أنهم الأفقه بالعربية ومدلولاتها، إضافة إلى معايشتهم عصر التنزيل، وتلقيهم ذلك عن أعلم الخلق بالله على الإطلاق نبينا الأمين - صلى الله عليه وسلم -، مما يدل على اختصاصهم بـ (دلالة حال النبي – عليه الصلاة والسلام -)، وقد كانوا إذا استشكلوا شيئا سألوه عنه، وكان يجيبهم بما يزيل الإشكال ويبين الصواب، فهم العارفون ـ رضي الله عنهم- ومن تبع طريقتهم بـ (إحسان)؟! بحقيقة هذا الدين الحنيف، فسبيلهم هو

=(التطبيق العملي) للكتاب والسنة، وقد نُقل إلينا، و(تتبع) ذلك أئمة الحديث والآثار، ولا يشترط في اعتباره (الدلالة القطعية)؟!!، وإنما يكتفى بـ (غلبة الظن)؟! كما هو مقرر عند النُّظار(؟!)، فكيف يُتصور أن تُحيلنا نصوص الكتاب والسنة إلى ضرورة الالتزام بفهم السلف الصالح وعملهم، ولا يكون موجودا محفوظا (؟!)، وهل تكون الإحالة – وفي سياق

تشريعي – إلى محال (؟!!)، فعجبا ممن لم يحظى بـ (نصيب = منضبط) من العلم الشرعي يتكلم في مثل هذه الأمور التأصيلية..، والله المستعان على من (تَعَالَم)؟!..، و(ساء تصوره)؟!..، و(لم يهذب حاشية منطقه)؟!..، فالواجب اتباع السلف الصالح في (الرواية)..، و(الدراية)..، و(الهداية).. ، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار .

وعليه فمن ضوابط القول في الشريعة أن ينظر الناظر في مَن سبقه بما يقول وهل له في ذلك سلف من الصحابة والأئمة والفقهاء المعتد بهم، على وفق المنهجية الصحيحة في النظر والاستدلال .

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: "إياك أن تقول كلمة ليس لك فيها إمام"2، ولأجل هذا كان السلف والأئمة يكتفون بالرواية والآثار في العلم.

قال الإمام سفيان الثوري - رحمه الله -:" إنما العلم كله بالآثار"3 .

وقال الإمام مالك - رحمه الله -: "لم يكن من فتيا الناس أن يقال: لِمَ قلت هذا؟ كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها ."4

فمن رأى من نفسه الشذوذ والانفراد فليتوقع أنه جانب الصواب، وإذا رأى أنه موافق لأهل العلم فتلك علامة التوفيق والسداد .

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله -: "فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي (مراعاة ما فهم منه الأولون)، و(ما كانوا عليه في العمل به) فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل"5 .

فالإقبال –إذن- على علم السلف الصالح وعملهم، ومراعاة فهمهم، والسير على نهجهم وطريقة استدلالهم هو صمام

الأمان لنوفَق للحق والهدى، ولنجتنب البدعة والضلال والهوى .

عن الإمام ابن المسيب - رحمه الله - أنه سئل عن شيء فقال: "اختلف فيه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أرى لي معهم قولا.

قال ابن وضاح - رحمه الله - معلقا: هذا هو الحق .

وقال الحافظ ابن عبد البر – رحمه الله - عقبه: معناه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم به"6 .

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله -: "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا، وإن كان مجتهدا مغفورا له خطؤه .

والمقصود بيان طرق العلم وأدلته، وطرق الصواب، ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا"7 .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: "إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين:

-إما أن يكون خطأ في نفسه.

-أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ.

ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف"8 .

....

.1ذم التأويل ص: 36.

2.رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص:231.

3.أخرجه ابن عبد البر في جامعه 34/2، في آخرين.

4.رواه البيهقي في المدخل ص:237.

5.الموافقات 77/3.

6.جامع بيان العلم 29/2.

7.مقدمة في أصول التفسير 81.

8.مختصر الصواعق المرسلة 128/2.

كتبه:

أبو أويس رشيد بن أحمد الإدريسي الحسني

عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي